مجلة الشهاب ● المجلد: 09، العدد: 01 (2023م) ● ص ص 41 - 60
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

الدرس الصوتي عند الإمام المقرئ أبي محمد الحسن بن علي العُماني
(من علماء القرن الخامس) ـ بيان وتمثيل ـ

The Phonological Study of the Quran Reciter Abu Muhammad al-Hasan bin Ali al-Omani (fifth century scholar - AH) - a statement and representation -

د/ مهدي دهيم *
كلية العلوم الشرعية - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار (سلطنة عمان)
Mahdi.dehim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/01 | تاريخ الاستلام: 2023/03/14 | تاريخ النشر: 2023/03/16

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:
يأتي هذا البحث في سياق استجلاء بيان الدرس الصوتي عند الإمام المقرئ أبي محمد الحسن بن علي العُماني(من علماء القرن الخامس) من خلال كتابه الأوسط في علم القراءات، حيث اعتنى بذكر التجويد والصوت والحرف، والحركة والكلام، والحروف ومدارجها، وأبواب الإدغام، والهمزة....، وغيرها، ويهدفُ إلى وَصف جهاز النطق ومخارج الأصوات وأحيازها عند العماني، وبيان مسائل التركيب الصوتي، ووظائف الأصوات في كتاب الأوسط في علم القراءات، هذا وقد تكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة، وكان من أهم النتائج: أنَّ الإمام العماني اعتمد على التلقي والمشافهة في النقل والرواية، ومع نقله نصوص أئمة اللغة كـ الخليل بن أحمد الفراهيد وابن جني وسيبويه وغيرهم، عدد مخارج الأصوات العربية لدى الإمام العُماني، ستة عشر مخرجاً موزعة على ثلاثة محاور هي: الحلق، والشفة، والفمُ واللسان.

الكلمات المفتاحية: الدرس الصوتي ؛ العُماني ؛ القراءات.

Abstract :
This study sheds a light on the statement found in the phonological lesson of the Imam Abu Muhammad Al-Hassan bin Ali Al-Omani (Fifth century scholar - AH) in his book "Al-ʾaūsṭ fī ʿlm al-qrāʾāt" where he primarily focused on tajwīd, phonetics, consonants, diacritics and speech etc. It aims to describe the articulatory system of Omanis, and to elucidate the matters of phonetic composition and the functions of sounds found in the book "Al-ʾaūsṭ fī ʿlm al-Qirā'āt The research consists of an introduction, a preface, three sections, and finally the conclusion. One of the most crucial findings was that the Omani Imam relied on conveyance and word of mouth in transmission and narration, and also transmission of texts of Arabic scholars such as Al-Khalil bin Ahmed Al-

* المؤلف المراسل.

Farahid, Ibn Jinni, Sibaweh and others. The Imam mentioned sixteen places of articulation and he distributed them among three components: firstly the throat, secondly lips, thirdly the mouth and the tongue.

Keywords:
Arabic Phonology; Phonological study; Omani; Qirā'āt.

1. مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من ورثة كتابه، وهيأ وسائل وسبلاً لحفظه وتجويده، ونشر قراءاته، وصلى الله على حبيبنا وسيدنا محمد خير خلقه، الناقل إلينا القرآن عَذباً سلسلاً بحروفه وبراعة نظمه، فتناقله السادةُ القراء من الصحابة والتابعين وأهل الأداء من بعده:

فلقد حَظِي موضوع مخارج الحروف بعناية علماء العربية وعلماء الأداء والقراءة؛ إذ أنَّ أحكام الإدغام بين الحروف مبنية على مقدار القرب والبعد في المخارج، قال سيبويه بعد أن ذكر مخارج الحروف وصفاتها:« وإنما وَصَفْتُ لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يَحْسُنُ فيه الإدغام وما يجوز ... »، وأَنَّ تجويد القراءة وتحقيق النطق يتوقفان على معرفة مخارج الحروف وصفاتها، قال الإمام المقرئُ أبو عمرو الداني:«آعلموا أن قُطْبَ التجويد ومِلاكَ التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج»، ولقد أدرك علماء التجويد والأداء أنَّ أمر التلاوة والقراءة للقرآن الكريم لا يتوقف عند معرفة مخارج الحروف وصفاتها، بل لا بدَّ من دراسة ما يُحدِثُه التركيب –أي تركيب الحروف- من آثار على صفات الأصوات، كأحكام النون الساكنة والتنوين، وترقيق الراءات، وتغليظ اللامات..... وغيرها، وهذا ما يُطلق عليه بظواهر الأداء الصوتي، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب.

ولقد أحببت من خلال هذا البحث كشف اللثام عن الدرس الصوتي، والظواهر الأدائية القرائية عند الإمام المقرئ أبي محمد الحسن بن علي العُماني(من علماء القرن الخامس) من خلال كتابه الأوسط في علم القراءات سائلا المولى التوفيق والسداد في ذلك.

مما حدا بي إلى اختيار هذا البحث مجموعة من العوامل المتضافرة والتي منها:

• مكانة المؤلف العلمية في علم التجويد، والقراءات، والوقف والابتداء؛ حيث وُسم بالإمام الفاضل المحقق المقرئ.

• أهمية الموضوع الذي تعرّض له الإمام المقرئ العُماني في كتابه الأوسط في علم القراءات، وأثر ذلك في الأداء الصوتي.

• اعتماد المؤلف على علماء اللغة والعربية ك أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه إمام اللغة، وعلماء القراءة والأداء كالإمام ابن مجاهد المقرئ، وغيره.

ولقد سلكت في هذا البحث المنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة البحوث العلمية، والذي يحقق الأهداف المرجوة من هذا البحث، وفيما يأتي معالم هذا المنهج:

المنهج التاريخي: وذلك بذكر ترجمة مختصرة عن الإمام المقرئ أبي محمد الحسن بن علي العُماني.

المنهج الوصفي: وذلك بالتعريف بكتاب الأوسط في علم القراءات مبيناً طريقته فيه، مُبرزاً الأداء الصوتي في مسائل التجويد والقراءات.

وقسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة عناوين رئيسة، ثم خاتمة، وفق الترتيب الآتي:

1. مقدمة
2. تمهيد وفيه: تعريف مختصر بالإمام أبي محمد العُماني، وكتابه الأوسط في علم القراءات.
3. آلة النطق ومخارج الأصوات وصفاتها عند الإمام العُماني.
4. ظواهر الأداء الصوتي عند الإمام العُماني.
5. منهج الإمام العُماني في الدراسات الصوتية.
6. خاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.
7. قائمة المصادر والمراجع.

2. تمهيد : تعريف مختصر بالإمام أبي محمد العُماني، وكتابه الأوسط في علم القراءات.

1.2. تعريف مختصر بالإمام أبي محمد العُماني[1]:

وُلد الإمامُ أبو محمد الحسن العُمانيُّ في أواخر القرن الرابع الهجري، وفي عُمان كانت نشأته ومنها ارتحلَ إلى البصرة، فقرأ على الشيوخ من أهل العراق، ومضى إلى الأهواز فلازم فيها آخرين، ويبدو أنَّه استقرَّ شطراً من عُمره مُتنقلاً بين أقاليم فارس وخراسان، فكانت رغبةُ أصحابه القراء بسجستان هي التي نشَّطتهُ في وضع باكورة كُتُبه، وهو الكتاب الأوسط في علم القراءات سنة 413هـ، والحال نفسُها تسري على كتابه المرشد في الوقف والابتداء الذي ألفه في بلاد العجم، وروى روايات مُسندة عن بعض شيوخه السِّجْزِيِّين والمروَزِيّين ولا نعرفُ أيَّ بلاد الله ضمَّت رُفاته بعد وفاته-رحمه الله تعالى-.

1.1.2. اسمه وكنيته ولقبه ونسبته:

أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العُماني، وقد أجمعت المصادر على كنيته بأبي محمد، ووُسم في بعض المخطوطات بـ شيخ القراء العمانيين.

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص23-29.

1.2. 2. من أشهر شيوخه:

• أبو الحسن علي بن زيد بن طلحة، الذي ألَّف الإمامُ العُماني الكتاب بناء على رغبته كما أشار في المقدمة.

• أبو الله عبد محمد بن أحمد بن عبد الله بن يعقوب العجلي اللالكائي، قال العُماني:«..وهذه القراءات التي ذكرتُها ووجوهها قرأتُها على جماعة مختلفين، فمنهم من قرأتُ عليه القراءة والقراءتين، ومنهم من ختمتُ عليه القراءة الواحدة ختمتين، ومنهم من عرضتُ عليه بعض العرضة، وهو ابو عبد الله اللاكائي، إمام جامع البصرة، ومقرئ أهلها-رحمه الله- قرأتُ عليه سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة بحرف أبي عمرو، ولم أختم عليه، قرأ على أبي بكر الشَّذائي، عن ابن مجاهد.. »[1].

• أبو الحسن بن بَنْدُويَهْ، قال العُماني بعد أن ذكر أنَّه قرأ على اللالكائي قراءة أبي عمرو: «..وعرضْتُ هذه القراءة بعينها مرَّات كثيرة على أبي الحسن ابن بَنْدُويَهْ، قرأ على ابن الإمام، على أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد..» [2].

• أبو الحسن الكُرَيزِيُّ، قال العُماني: «....ثمَّ لم أزَل اقرأ على الشيوخ، حتى دخلتُ الأهواز، فظفرتُ بأبي الحسن محمد بن محمد الكُرَيزِيّ البصري-رحمه الله-، فعلَّقتُ عنه هذه القراءات بوجوهها وروايتها، وطُرُقها في ثلاث مئة وخمسين ورقة، في مدة سنتين...ثمَّ قلتُ له:أفلا تُعَرِّفني شُيوخك الذين أخذت عنهم، فدفع إلينا صحيفة شحنها أسماء أُسْتاذيه وشيوخه.. »[3].

1.2. 3.مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو عبد الله محمد بن طيفور السَّجاوَندي الغزنوي (ت560ه) بإشارة لطيفة غير مصرّح باسمه أو لقبه: « فممَّن اشتهر منهم -يعني القراء- بالبراعة في الصناعة صاحب المقاطع والمبادئ، الإمامُ المقدَّم على أقرانه، السابق العنان النحرير، الفائق في البيان والتحرير، وصاحب المرشد، الإمامُ المسلَّم في زمانه، الطائع الطبيعة في مبالغة التعبير، الرائع الصنيعة في معاودة التقرير، وكلاهما -طيَّب الله ثراهما- بالثناء عليه والدعاء له جدير، وقد سعيا في الكتابين سعي مُجدٍّ مُجيد، وَرَعَيَا ما بَغَيَا رَعْيَ مُبدئٍ ومُعيد، غير أنَّ الأول منهما كان مولعاً بالإطناب طلبَ التبصير، والثاني كان مُبدعاً في كل وادٍ بالذهاب حَذَرَ التقصير، فتجاوزاً بطول الإمكان حدَّ رغبة أهل الزمان ... »[4]، ووسمه الإمامُ أحمد بن أبي عُمر الأندرابي الخراساني (ت475ه) بالمقرئ حيث قال في كتابه الإيضاح في القراءات في باب الوقف والابتداء: «وقال أبو محمد الحسنُ بن علي بن سعيد المقرئ -رحمه الله- الوقوف على خمس

1 - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص61.
2 - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص61.
3 - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص62.
4 - محمد بن طيفور السَّجاوَندي، الوقف والابتداء، ص103-104.

درجات...قال: فأما نحن فقد ميَّزنا...».[1] ووصفه الحافظ ابن الجزري بقوله: «إمامٌ فاضل محقِّقٌ»[2].

2.2. التعريف بكتاب الأوسط في علم القراءات:

كتاب الأوسط من الكتب الأصيلة في القراءات التي تجاوز المؤلِّف فيها السبع من القراء في القرن الخامس الهجري، مضيفاً إليهم القارئ يعقوب الحضرمي، حيث قال: «فأوردتُّ فيه ما أوردهُ المتقدمون في كُتبهم من قراءة القراء الثمانية، أئمة أهل الأمصار، من الحجاز، والشام، والعراق، مُستوعباً أكثر رواياتُها، مُبيِّناً ما اشتهر منها، مُنَبِّهاً على ما شذَّ عنها، مُميِّزاً بين المستعمل والمرفوض»[3]، وقد وَسمه المصنف في المقدِّمة بقوله: «..وهو كتاب يشتملُ على علم القراءات، ومعرفة وجوه الروايات...وسمَّيتُه الكتاب الأوسط في القراءات»[4]، وقد ابتدأ فيه بتقديم الإمام عبد الله بن كثير، إمام أهل مكة على غيرهم؛ إجلالاً لبيت الله الحرام وتعظيما له، ثم أبي رويم نافع المدني، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وعبد الله بن عامر اليحصُبي، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيَّات، وعلي بن حمزة الكسائي، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، ابتدأ الكتاب بمقدمة وسبعة أبواب مُفتتحاً فيها بـ (باب في أسماء القراء وأسماء الرواة عنهم) من غير تطويل في الأسانيد ، ثم أبواب الإدغام(الإدغام لأبي عمرو، الوقف على أواخر الكلم، لام المعرفة)، ثم أبواب الهمزة، وأبواب الإمالة، وأبواب الياءات، وأبواب عامة، وقد طُبع منه جزء أصول المسائل دون جزء الفرشيات، والمتبقى منه في حكم المفقود.

والكتاب طُبعَ قديماً بعنوان القراءات الثمان للقرآن الكريم بتحقيق: إبراهيم عطوة عوض، وأحمد حسين صقر، المجموعة الصحفية للدراسات والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى1415هـ، وطبع كذلك بمسمى الكتاب الأوسط في علم القراءات تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الفكر، دمشق 1427هـ.

3. آلة النطق ومخارج الأصوات وصفاتها عند الإمام العُماني

1.3. آلة النطق:

تشترك مجموعة من الأعضاء في إنتاج الصوت اللغوي، يُطلق عليها أعضاء آلة النطق، وهي تكوِّنُ ثلاثة تجاويف: تجويف الحلق، وتجويف الفم، تجويف الأنف، وتنتهي من الأسفل بالحنجرة الكائنة عند النتوء البارز في وسط الرقبة، أما الأعضاء الكائنة أسفل الحنجرة مثل القصبة الهوائية، والرئتين، والحجاب الحاجز، فإنها لا تشترك مباشرة في إنتاج الأصوات، ولكنها تُمدُّ آلة النطق بالهواء اللازم لإنتاج الصوت اللغوي.

ولقد عرَّف الإمام العُماني الصوت بقوله: «اعلم أنَّ الكلام مبني من الحروف، والحرفُ موَّلد من

[1] - أحمد بن أبي عُمر الأندرابي،الإيضاح في القراءات، ص23-29.
[2] - محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء:320/1.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص40.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص39-40.

الصوت، فأول ما يجب علينا تبيينه والكشفُ عنه الصوت»[1]، ثم بيَّن دلالته اللفظية حيث قال: «..فأمَّا القول على لفظه فإنَّ الصوت مصدر صاتَ الشيءُ يصوتُ صوتاً، فهو صائت، وصوَّت تصويتاً، فهو مُصَوِّت، وهو عام غير مختص، يُقال: سمعتُ صوتَ الرَّعد، وصوت الرَّجل، وصوت الحمار، قال تعالى:(إنَّ أنكر الأصوات صوت الحمير)، ويُقال: رجلٌ صاتٌ أي شديد الصوت، كما يقال: رجلٌ مالٌ: كثير المال، ورجل نالٌ: كثير النَّوال، وبومٌ طانٌ وراحٌ: كثير الطين والريح، ويُقال: لفلان صِيتٌ: إذا انتشر ذكره، وهو من الصوت المسموع، وأصله: صِوْتٌ، بالواوِ وكسر الصاد، ثمَّ انقلبت الواو ياءً، للكسرةِ التي قبلها، كما انقلبت في الميعاد والميقات، وإنما كُسرت الصاد في هذه فرقاً بينها وبين الصوت المسموع»[2].

أما اصطلاحاً فقد نقل تعريف ابن جني وعبَّر عنه بقوله: «قال بعضهم: الصوتُ عرضٌ يخرج مع النَّفس مستطيلاً متَّصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ عن امتداده واستطالته، فيسمَّى المقطعُ أينما عرضَ له حرفاً، فهذا قد جمع بين الصوت والحرف، وحدَّهما حداً لا يخرجان عنه، فأتى باستيفاء المعنى وحُسن العبارة غير أنَّه لا يُدرك إلا بالتأمُّل»[3].

ثم شرح الإمام العُماني ذلك كله بقوله: «اعلم أنَّ الصوت منشؤه من الصدر، وهو نَفسٌ يرتفع إلى الحلق، فيستطيل ويمتدُّ حتى يحصُرَه بعضُ المقاطع، فينحصرُ هُناكَ، فإذا حصره مقطعٌ تولَّد منه حرف، فأنت إذا أطلعتَ النَّفس من صدرك، ثم ثناهُ حيِّزٌ سمعت له جرَساً، فإن انتقلتَ منه إلى حيِّز آخر سمعتَ جرساً آخرَ، فالصوتُ هو الذي يستطيلُ، والمقطع الذي يَثنيه عن الامتداد هو الحرف»[4].

واعتمد على نقل كلام ابن جني في سر صناعة الإعراب حيث قال: «وبعضهم يُشبِّه الحلق والفم بالنَّاي؛ فإنَّ الصوت يخرج فيه ساذجاً أملس، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً، فإذا وضع الزامرُ أناملَه على خروق الناي المشقوقة اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خَرق منها صوتٌ لا يُشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطِع الصوت في الحلق والفم باعتمادٍ على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات مختلفةَ الأجراس»[5].

فاختلاف الأصوات عند العماني في السماع كاختلاف نغمات وتر العود كما قرر ذلك ابن جني بقوله: « ..ونظير ذلك أيضاً وتر العود فإنَّ الضارب إذا ضربه وهو مُرسل سمعت له صوتاً، فإذا حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدَّى صوتاً آخر، فإن أدْناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه»[6]، والوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب كأوَّل الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غُفلاً، وما يعترضُه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص76.
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص77.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص76، و ابن جني ،أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب:6/1 و9.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص76.
[5] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص77، ابن جني ،أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب:1/8.
[6] - ابن جني ،أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب:1/9.

الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات كاختلافها هنا[1].

2.3.مخارج الأصوات:

عددُ حروف العربية عند الإمام العُماني تسعة وعشرون حرفاً، أما عدد مخارجها فقد ذكر اختلاف العلماء فيه، فذكر مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم سيبويه، ثم مذهب الجرمي ومن وافقه، أما مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي العُماني فالمخارج عنده تسعة، قال الإمام العُماني: «وكان الخليل بن أحمد يَقسِمُ المخارج على تسعة أقسام: الحلقُ واللهاةُ والشَّجْرُ والأسلةُ والنِّطْعُ واللِّثةُ والذَّولَقُ والشَّفةُ والهواءُ»[2]، ثم عاد إلى تفصيل المخارج بنسبة الحروف إلى تلك المواضع التي حدَّدها، على نحو ما ذكرها غيره إذ قال:

«الحلقية: ع ح ه خ غ، هذه حَلقية.

اللَّهاة: ق ك، هما لهويَّتان، واللَّهاة هي اللحمة الحمراء المعلَّقة في أعلى الحنك.

الشَّجْرية: ج ش ض، هذه شجْرية، والشَّجْرُ مفْرج الفم.

الأَسَلة: ص س ز، هي أسَلية، والأسلةُ مستدقُّ اللسان وهو طرفُه وحدُّه، وقد يُقل لهذه لِثَوية.

النِّطْعُ: ط د ت، هذه نِطْعيَّة، والنِّطْعُ الغارُ الأعلى، وهو سقفُ الفم.

اللِّثة: ظ ذ ث، هذه لِثَويَّة، واللِّثة هي اللحم الذي ركزت فيه الأسنانُ، فأمَّا الشُّرف التي تصْعَدُ من اللحمين الأسنان فيُقال لها: العُمور، واحدها عَمْر، ومنهم من يُسمِّي هذه الحروف اللثوية: أسَليةً، والتي قبلها لِثوية، وإنما وقع الخلاف في هاتين اللغتين لقرب مخرجيهما.

الذَّولق:ر ل ن، هذه ذولقية، والذَّولَقُ ما حدَّ من اللسان كذولق السِّنان، ويُقال لها:ذَلَقيَّة، ويُقال: ذُلق، واحدها أَذْلَقُ.

الشَّفة: ف ب م، هذه شَفَويَّة، ويُقل لها: شَفهيَّة.

الهواء: و ا ي، هذه هوائية، واختلفوا لمَ سمَّاها هوائيةً؟ فقال: اللَّيثُ: لأنهُنَّ يخرُجن من هواء الفم، وقال أبو عثمان المازني: يعني أنَّ الصوت يهوي فيهنَّ لاتِّساع مخارجهنَّ، فليس لها اصطكاك، لأنها تنسلُّ من جوِّ الحنك، وحُكي عن الخليل أنه كان يقول: الألف والواو والياء والهمزة جوف، يريد أنهنَّ من الجوف»[3]، ومما سبق يتبين أنَّ الإمام العمانيَّ حرصَ على بيان: ذكر الموضع، وذكر الحروف التي تخرج منه، وتفسير دلالة الموضع، ونسبة الحروف إليه.

[1] - ابن جني ،أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب:1/9.(بتصرف).
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص81.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص81-82.

3.3. صفات الأصوات:

ذكر الإمام العُماني أهم صفات الحروف، وبدأ بذكر الصفات الرئيسة التي تنضوي تحتها كلُّ حروف العربية، ثم ذكر الصفات التي انفرد بها حرف أو عدد من الحروف، وفصَّل في الأولى فقال: «والحروف نوعان: مهموسة ومجهورة، فالمهموسة عشرة أحرف: الحاء والثاء، والفاء والسين والكاف، والتاء والشين، والخاء والصاد والهاء، مجموعة في قولهم:(حثَّ فَسَكَتَ شَخْصُهُ)، وباقي الحروف مجهورة.

وهكذا الحروف نوعان: شديدٌ ورخوٌ، فالشديد ثمانية أحرف مجموعة في قولهم: (قطُلْكَ اجتبد)، ومعنى الشديدة لزومُ الاعتماد لموضع الحروف حتى تشتدَّ، وبقيَّة الحروف رِخوةٌ، وإنما سُمَّيت مهموسةً؛ لأنَّه اتَّسع لها المخرجُ، فخرجت كأنها نفَسٌ، وسُمِّيت مجهورةً؛ لأنَّ مخرجها لم يتَّسعْ، فلمَّا لم يتَّسِعْ مخرجُها لم يتَّسع الصوت، وإن شِئْتَ قلتَ: المجهور: حرفٌ أُشبع الاعتمادُ في موضعه، فمنع النَّفَسَ أن يجريَ معه، والمهموس: حرفٌ أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النَّفَسُ، والمعنيان واحد، وهذه العبارة أبيَنُ.

وسُمِّيت الرِّخوةُ رخوةً لأنَّها تسترخي في المخرج.

وحروفُ الإطباق أربعة: الصاد والضاد، والطاء والظاء، سُمِّيت بذلك لانطباق اللسان على الحنك عند النطق بها.

وحروف الاستعلاء سبعة: الصاد والضادُ والطاء والظاء، والخاء والغينُ والقاف، وسُمِّيت بذلك لاعتلائها في الفم عند النطق، ولأنَّ اللسان يستعلي فيها إلى الحنك، إلا أنَّ فيها ما يستعلي ثم ينطبق، وفيها ما يستعلي ولا ينطبق، فمن حروف الاستعلاء أربعة مُطبقة، وثلاثة مُستعلية غير مطبقة، والسبعة الأحرفُ بأجمعها حروف الاستعلاء»[1]، والصفات الأخرى التي انفرد بها حرف أو عدد من الحروف المذكورة عند الإمام العُماني هي: المتفشِّي، والقلقلة، والمكرر، والمنحرف، والغنة، والصفير، وكذلك ذكر معها الحروف الزائدة، وهي ليست صفة صوتية.

وَنبَّه العُماني على الصور النطقية التي يلزم القارئ الاعتناء بها فقال: «..ومن التجويد أن يتأمَّل القارئ حال الهمزة، فيأتي بها سهلة في الذوق من غير لَكْزٍ...

ويُبيِّنَ اللامَ من (أنزلنا)... ونحوها لئلا يدْغمَ في النون.

ويُبيَّنَ الوَاوَ والياء المتحركتين في نحو: (خذ العفو وأمر)...وإن سكنت الواو وانضمَّ ما قبلها..وجب تمكين الواو...

ويُظهرَ إطباقَ الصاد مع الطاء في قوله: (واصطبر).. ولا يخلطَ الزاي الساكنة التي بعدها دال

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص89-90.

بالسين..

ويُبيِّنَ الدال مع النون في نحو قوله: (ولقد نعلمُ)..

ويُبيَّن الضاد مع التاء في نحو: (عرَّضْتُم)...

وكذلك الظاء مع التاء نحو (وَعَظْتَ)...

وكذلك الطاءُ الساكنة إذا أُدغمت في التاء، فلا يُخلُّ بصوت الإطباق منه، وإن كانت مدغمة كقوله:(لئن بَسطت)...

وَيُبيَّن الوَاوين إذا تَحركتاَ نحو: (وَوَرِثَهُ)...

وَيُشْبِعَ الياءَ والوَاوَ الشَّديدتين عند أُختيهما نحو: (والعشِيِّ يُرِيدون)، (عدوٌّ ولَكُم).

ولاَ يُدغِمَ الغينَ من قوله: (لا تُزِغْ قُلُوبَنَا)، ولا يُفرطَ إظهاره فيدعو إلى الحركة.

وإذا اجتمع الحرفان من حروف الحلق فصَلَ أحدُهما عن الآخر، ولا يكون ذلك إلا بضرب من التكلُّف...

ويُبيَّن الواوَ من (دَاود)، (يَلوون)، من غير إخلالٍ ولا همز، وكذلك الياء في قوله: (الأُنثيَيْنِ)، و(الحُسنيَيْنِ).

ويُبيَّنَ الحاء في قوله: (فسَبِّحْهُ)، واللاَّمَ من قوله: (غِلْظَةً).

وإذَا تأمَّلَ القارئُ ما قلتُهُ تَنبَّهَ له، وقاسَ عليه غيرَه»[1].

ثم أشار إلى تفاضل القراء في معرفة التجويد، مع ذكر انقسام اللحن إلى جليّ وخفيّ وذلك قوله: «والناسُ يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يعرفُه قياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفُه سماعاً وتقليداً، والعلمُ فطنةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً ورواية، واللحن في القرآن لحنان: جليٌّ وخفيٌّ، فالجليُّ لحنُ الإعراب البَيِّنُ، والخفيُّ تركُ إعطاء الحروف حقُوقها»[2]، وختم كلامه بذكر أهمية معرفة مخارج الحروف وصفاتها وأنواعها للتمكن من التجويد وذلك قوله: «..والذي ذكرتُه من التجويد والأداء غيرُ ممكن إلا بعد المعرفة بالحروف ومخارجها، ومدارجها، المؤتلَف منها والمختلف، في المناسبة والممازجة، والوقوف على حدِّ كلِّ حرف، من الجهر والهمس والرخاوة والإطباق والاستعلاء والصفير والمدِّ واللين والإدغام والتشديد، ليُعلم مواضع الإدغام من الإبراز، والمدِّ والتقصير، والإشباع والإرسال، وأنا ذاكرٌ ما يحضرني من ذلك...»[3].

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص73-75.(بتصرف).
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص75.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص75.

4. ظواهر الأداء الصوتي عند الإمام العُماني.

سنتناول هنا الصوت اللغوي على المستوى التركيبي للأصوات، وعلماء الأصوات المحدَثون أبانوا أنَّ الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في اتصال الكلام، بسبب التأثر والتأثير، واعتنت مؤلفات القراءات القرآنية ببيان وجوه الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقلها، بإبراز الظواهر الصوتية، كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما، وإمالة الألف والفتحة وفتحهما، وغيرها، ولقيت عناية من المتقدمين من علماء التجويد والقراءات كالإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت444ه)، ومكي بن أبي طلب القيسي(ت437ه) وغيرهما، ومنهم الإمامُ المقرئ أبو محمد الحسن بن علي العُماني الذي حفلَ كتابه بجملة من الظواهر الأدائية والتي منها:

1.4. الإدغام:

قال العماني: «اعلم أن أصل الإدغام في اللغة الدَّفنُ، فإن أدغمت الحرف فكأنك دفتنه،.....قال الخليل بن أحمد: (هو في ألسنتهم كخطو المقيَّد).، وتفسيره أنَّ البعير المقيَّد إذا أراد أن يخطو، فإنه يرفع إحدى رجليه، فيضعها في موضع، ثم يرفع الثانية، فيضعها بإزاء الأولى، فتطول مدته في الخطو ويثقل عليه ذلك، فإن اعتمد برجليه جميعاً اعتمادةً واحدة، فقفز بهما كان أسرعُ لمشيه، وأقطع لمسافته، فاشتقَّ الإدغامُ من خطو المقيَّد، بأن نزعت الحركة من الحرف المدغم، ثم اعتمد على الحرفين من موضع اعتمادة واحدة، وهما حرفان في الوزن والحقيقة، وفي اللفظ حرف واحد»[1].

والإدغام لغة: مصدر الفعل أَدغَمَ، يُقال: دَغَم الغيثُ الأرضَ وَأَدْغَمَهَا: إذَا غَشِيَهَا، والإدغام إدخال الشيء في الشيء، ومنه إدخال اللجام في أفواه الدَّوابّ، وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا، ويُقال أدغمتُ الحرفَ على وزن أفعل، وادَّغمتهُ على وزن افْتَعَلَ، والمصدر من الأول الإدغام، ومن الثاني الادِّغام، والأول من ألفاظ الكوفيين، والثاني من ألفاظ البصريين[2].

والإدغام اصطلاحا: «أن تصل حرفاً ساكناً بحرفٍ متحركٍ مثله أو مقاربه، وتصييرهما حرفاً واحداً مُشدَّداً، يكون النطق بهما دفعة واحدة»[3].

ويُعلل العُماني بنقل كلام أبي بكر بن مجاهد، وهو قوله: « ..وإنما اختارت العرب الإدغام لأنَّه ثَقُل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعودوا إليه»[4]، ثم قال العُماني: «وقد استعملت العرب

---

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص:139.

[2] - أبو الفضل جمال الدين 23.ابن منظور، لسان العرب: 93/15 (دغم)، :شرح المفصل لابن يعيش: 121/10.

[3] - أبو بكر محمد بن سهل لابن السراج، الأصول:405/3، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، الإدغام الكبير للداني: ص93، عبد الوهاب ابن محمد القرطبي الموضح: ص139، أبو بكر أحمد بن الجزري الحواشي المفهمة: ص88، زكريا بن محمد الأنصاري الدقائق لمحكمة: ص53.

[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص137.

الفصحاء الإدغام في كلامهم، لخفَّته على ألسنتهم»[1].

قال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: «الإدغام تقريب وتخفيف، وإنما أدغمت العربُ والقراء طلباً للتخفيف وكراهة الاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يُعيدوها إليه، إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء به فيه»[2]، إذن العلة في الإدغام التخفيف؛ إذ يصعب على المتكلم في ديناميكية النطق أن يزيل لسانه عن صوت، ثم يُعيده للصوت الآخر، وهي علة صوتية تنبئ عن دقة الملاحظة عند الإمام العماني والداني وغيرهما.

ومن أصول الإدغام التي قررها العُماني في باب الإدغام قوله:

«اعلم أنَّ الهمزة لا تُدغَم في شيء، ولا يُدغمُ فيها شيء؛ وإنما كان كذلك لأنها مضغوطة، لا يتسع مخرجها، فيحتملَ الإدغام.

والألف الساكنة كذلك لا تُدغم، ولا يدغمُ فيها، ولا تجتمع ألفان؛ لأنَّ الألف لا تقعُ إلا ساكنة، والساكنان لا يجتمعان، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها لا تُدغمان، ولا يُدغمُ فيهما، وهما نحو قوله تعالى:(آمنوا والذين)، و(يتامى النساء)، وهذا الذي ذكرته إجماع بينهم»[3].

وقد بيَّن الإمام العُماني أن الإدغام يأتي على ضربين حيث قال:

«..ثم الحرفان، بعد ما ذكرتُ، إذا التقيا فلا يخلوان أن يكونا في كلمة واحدة أو في كلمتين، فغن وقعا في كلمة واحدة فلا يخلوان أن يكونا مِثْلَينِ أو مُتقَاربين فالمثلان مثل قوله تعالى: (جباههم)، (وجوههم)، و(بأعيننا)، و(موتتنا)، و(ما اقتتلوا)، و(يدعوننا)، فهذا الباب كله لا يُدغم، غلا في موضعين وهما: (مناسككم) و(ما سلككم) فإنه أدغمهما -أي أبو عمرو- بلا خلاف عنه»[4].

كما أنه ربط بين الإدغام وبعض السمات المخرجية لبعض الأصوات حيث قال: «..فأما الحرفان المتقاربان في المخارج واللذان من مخرج واحد من كلمتين ما لم يكونا مثلين، فإنَّه يدغَم أحدهما في الآخر إذا لم يكن الأول مفتوحاً قبله ساكن»[5]، وعلَّلَ العُماني إدغام النون في أحرف (يرمُلون) بقرب المخرج بين النون وهذه الأصوات، حيث ذهب إلى «..أنَّ النون والتنوين قريبان منهنَّ تزاحمانُهنَّ في المخرج؛ فجعلت دفعة واحدة كما قالوا: ردَّ وعدَّ»، كما وجَّه إدغام لام أل التعريف في ثلاثة عشر صوتاً توجيهاً مخرجياً حيث قال عن اللام: «...لأنها وهذه الحروف تخرج من طرف اللسان، وهي التاء والثاء

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص139.
[2] - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، الإدغام الكبير:ص40، التحديد في الإتقان والتجويد:ص101.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص142.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص143.
[5] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص154.

والدال، والذال والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء والنون»[1].

وذكر مذهب الإمام أبي عمرو البصري في الإدغام حيث نصَّ على أنَّ: «كل حرفين مثلين من كلمتين يدغم الأول في الثاني، ما لم يكن منوناً أو مشدَّداً أو منقوصاً أو تاء خطاب، فإن كانا متقاربين فإنه يدغم أيضاً، ما لم يكن الأول مفتوحاً قبله ساكن ..»[2].

2.4. ظاهرة الروم والإشمام:

يعرض الروم والإشمام للحركات عند الوقف قال سيبويه: «...فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك، وبالتضعيف»، وقد فصَّل ذلك الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444ه) في كتابه التحديد[3]، والعُماني حيث قال: «وأما المضموم كقوله تعالى: (من قبلُ) و(من بعدُ)...وما أشبه هذا، فجاء منصوصاً عن أبي عمرو وحمزة والكسائي أنهم يقفون عليهما بشيئين بالروم :هو ضعف الصوت بالحركة، حتى يذهب مُعظم صوتها، وبالإشمام: ضم الشفتين من غير صوت يُسمع»[4]، كما يُطلق الإشمامُ عند القراء في كتب القراءات على أمور ستة[5].

ومذهب النحاة جواز الرَّوم في الحركات الثلاث، ولكن أكثر القراء لا يَرون الرَّوم بالفتحة، قال الإمام الشاطبي(ت590ه):

وَلَمْ يَرهُ فِي الْفَتْحِ وَالنَّصْبِ قَارئٌ وَعِنْدَ إِمَامِ النَّحْوِ فِي الْكُلِّ أُعْمِلَا

والغرض من الوقف بالروم أو الإشمام تبيين حركة الحرف الموقوف عليه، قال مكي بن أبي طالب القيسي(ت 338ه): «اعلم أنَّ الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة كيف كانت في الوصل، وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأنَّ الروم يُسمع ويُرَى، والإشمامُ يُرى ولا يُسمع، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشمَّ الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك»[6]، فعلى قول القراء لا يدخل الرَّوم عليه؛ لأنه حركة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها، لأنها لا تقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضمُّ بما فيهما من الثقل، والرَّوم عندهم بعض الحركة، وعلى قول اللغويين يدخل على الفتح كما يدخل على الكسر والضمِّ؛ لأنَّ الرَّوم عندهم إخفاء الحركة، وذلك لا يمنع في الحركات الثلاث، وقد بين الأستاذ عبد الصبور شاهين أنَّ الحركة في الرَّوم كما هي في الاختلاس، تكون أقصر زمناً وتكاد تفقد الجهر، مثلما يحدث في الإسرار أو الوشوشة[7]،

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص75.
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص153.
[3] - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التحديد في الإتقان والتجويد:ص96.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات،ص170.
[5] - إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات:ص25.
[6] - مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع:122/1، وأبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء:386/1.

الوشوشة[1]، واختصاص الإشمام بالضمَّة دون غيرها من الحركات يعود إلى أنها من الواو، والواو تخرج من الشفتين وبهما تعالج، قال ابن أبي مريم: «..لأنَّ الإشمام تهيؤ اللفظ بالضمة، وضم الشفتين استعداداً لإخراج ما كان من جنس الواو، وهذا لا يمكن مع الإشارة الكسرة»[2].

3.4.ظاهرة تغيير الهمز:

لما كان الهمز يخرج من أقصى الحلق وما يليه من أعلى الصدر مُشْبهاً للتَّهوُّعِ والسَّعْلة، أوجب على أكثر الناطقين به كُلفةً ومشقةً، فتصرَّفت فيه العربُ واستعملته على ضربين: محققاً ومخففاً.

قال صاحب المنبهة[3]:

الْهَمْزُ فِيهِ كُلفَةٌ وَتَعَبُ
لِأَنَّهُ حَرْفٌ شَدِيدٌ صَعْبُ
يُخْرِجُهُ النَّاطِقُ بِاجْتِهَادِ
مِنْ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ اعْتِمَادِ
يَعِيبُهُ الْكُلْفَةُ والتَّقَطُّعْ
إِذْ هُو كَالسُّعْلَةِ والتَّهَوُّعْ
لِذَاكَ فِيهِ النَّقْلُ والتَّسْهِيلُ
بِالْجَعْلِ بَيْنَ بَيْنَ والتَّبْدِيلُ

قال الإمام العُماني: «اعلم أنَّ الهمز حرف مجهور، لها ثلاثة مواقع، وأربعة أحوال، فأمَّا مواقعها فإنها تقع مُبتدأة ومتوسطة ومتطرفة، وأمَّا أحوالها فإنها تكون محقَّقة ومُبدلة ومحذوفة وبين بين، فإذا أُبدلت فإنها تُبدل من ثلاثة أحرف، وهي الألف والواو والياء كقوله تعالى: (يومنون)، و(ناكل) و(بير مُعطلة)، وإذا حُذفت فإنَّ حركتها تُلقى على الساكن قبلها، وإذا كانت بين بين فإنَّه يُتلفَّظ بها بين الهمزة وبين الحرف الذي هو من جنس حركتها»[4]، من خلال أقوال العلماء التي ذُكرت في تخفيف الهمزة يتبين للمتأمِّل أن التغييرات الصوتية بتخفيف الهمزة لها أربعة أحوال وهي: الإبدال، والحذف، وبين بين، والنقل.

الإبدال: وهو أن يُبدلَ حرفَ المد من جنس الحركة قبله، فيصير بعد الفتحة ألفاً، وبعد الضمة واواً، وبعد الكسرة ياءً، نحو: (تَأْكُلونَ)، و(المُؤْمنونَ)، و(الذِّئْبُ)[5].

---

[1] - عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص370.
[2] - أبو مريم نصر بن علي الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها: 216/1.
[3] - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المنبهة لأبي عمرو الداني:629/2.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص191.
[5] - عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، الكنز في القراءات العشر:225/1 (بتصرف)، إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم

التسهيل بَيْنَ بَيْنَ: وهو أن يُجعَلَ بينه وبين ما منه حركتُهُ نحو:(أَنشَأَكُم)،و(جاءَ أُمةً) وما أشبه ذلك[1].

الحذف: وهو الحذف مع نقل حركته إلى الساكن قبله، وسواء كان الساكن لام التعريف ك (الأرض)، أم تنويناً ك (من نبيٍّ إلا)، أم غير ذلك من الحروف، ويطلق الحذف ويراد به: إعدامها دون خَلَفٍ لها وذلك نحو:(هؤُلاءِ إن)، و(شاءَ أَنشَره)[2].

والعربُ تختلفُ مذاهبها في الهمز، فكانت تميم ألزمُ العرب كلها للهمز، وقد يوجد الهمز في لغاتهم، والقراء مختلفون، فكان نافع وأبو عمرو وأكثر القراء تركاً للهمز، وقاربهما الأعشى عن أبي بكر، وكلُّ ذلك صواب؛ لأنَّ الهمز إشباع وتحقيق، وتركه استخفاف، وهم فيه مُخيَّرون، فإذا استثقلوه في موضع حذفوا أو خفَّفوا، وإذا استخفُّوه همزوا ولم يُفحشوا[3].

4.4.ظاهرة الإمالة :

التفخيم والإمالة لغتان فاشيتان على ألسنة فصحاء العرب الذي نزل القرآن بلُغتهم، غير أنَّ الأصل منهما التفخيم لعدم توقُّفِهِ على سبب، وجواز تفخيم كل ممال دون عكسه، ويطلق التفخيم مرادا به الفتح عند بعض المتقدمين من القراء الذي هو ضد الإمالة كما درج على ذلك العُماني حيث قال: «اعلم أنَّ التفخيم هو الأصل، وهو أعلى وأشهر وأعمُّ في فصحاء العرب، والإمالة داخلة عليه، والدليل على ذلك أن لك في كل حرف مُضجع أن تُفخِّمه فتفتحه، وليس لك في كل حرف مُفخَّم أن تضجعه، والتفخيم خفَّة المؤونة على المتعلِّم والقارئ العالم، وروي عن زيد بن ثابت أنه قال: نزل القرآن بالتفخيم »[4]، ويقرر ما ذهب إليه العُماني مكيَّ بن أبي طالب القيسي حيث يقول: «اعلم أنَّ أصل الكلام كله الفتح، والإمالة تدخل في بعضه في بعض اللغات لعلَّة، والدليل على ذلك أنَّ جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه في بعض اللغات لعلَّة، فالأصل ما عمَّ، وهو الفتح»[5].

والفتح في الاصطلاح: أن يفتح القارئ فمه بلفظ الحرف، وهو الأصل، والإمالة فرع داخل عليه، وهو إما شديد أو متوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بالحرف، وهو معدوم في لغة العرب فلا يجوز في القرآن.

مصطلحات القراءات: ص30.

[1] - عبد العزيز بن علي الأندلسي ابن الطحان السماتي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ:ص69، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، الكنز في القراءات العشر:226/1، عبد العلي المسئول معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص 135-136(بتصرف).

[2] - عبد العزيز بن علي الأندلسي ابن الطحان السماتي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ لابن الطحان السماتي: ص69، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، الكنز في القراءات العشر:226/1(بتصرف).

[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص191.

[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص269-270.

[5] - مكيَّ بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها:186/1.

والفتح المتوسط: هو ما بين الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كالإمام ابن كثير، والإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا، وهو المحض، ويقال له الإضجاع، ويقال له: البطح. وقليلا: وهو بين اللفظين، ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين[1].

قال الأستاذ إبراهيم أنيس: «واللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى، بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يُسمى الإمالة، وأقصى ما يصل إليه أوَّل اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمَّى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة، فهناك إذاً مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة»[2].

وبيَّن العُماني مواضع الإمالة وأسبابها بقوله: «والإمالة لا تقعُ إلا على الألف لكسرة تكون بعدها، أو لكسرة تكون قبلها، أو لياء تكون في الحرف، فأرادوا أن يُقرِّبوها بالإضجاع من الكسرة أو الياء؛ ليكون العلاج من وجه واحد، طلباً للتخفيف كما أرادوا عند التقاء الحرفين المتقاربين في المخرج أن يكون عمل اللسان من موضع واحد، طلباً للتخفيف فأدغموا، والإمالة منزلة بين الفتح والكسر، ....ومعنى قولهم بين بين هو أن تكون الإمالة إلى الفتح أقرب، فكأنها منزلة بين الفتح والإمالة»[3].

5. منهج الإمام العُماني في الدراسات الصوتية

لقد اتبع الإمام العُماني منهجية علمية في طرحه للدرس الصوتي القرائي، وكان صاحب نظرة عميقة في كشف خفايا الصوت اللغوي، ووضعه على محكات التطبيق في مسائل التجويد والقراءات، وكيف لا يكون هذا وهو من علماء التجويد والقراءات في عصره؛ ولذا نستطيع القول إنَّ العُماني سار على منهج علمي، ترى من خلاله القدرات العلمية الأدائية للدرس الصوتي القرائي عنده، ويمكن وسم هذه المنهجية بالطرائق الآتية:

1.5.المنهج الوصفي:

يُعتبر الإمام العُماني من المتخصصين في علم التجويد والقراءات ومن المشتغلين بعلوم القراءات وفقاً لما أملته عليه ثقافته، وعنايته بالتلاوة الأدائية، والنصوص القرائية، فقد تعلم النحو والصرف والتجويد والقراءات، وهذه الثقافة جعلته يرسمُ منهجا واضحا في دراسته لعلم الأصوات، استغرق جميع مباحث الصوت اللغوي، من مخارجه وصفاته وما طرأ عليه من تغييرات تركيبية وتحليلية، كما ذكر جوانب التأثر والتأثير للأصوات عند مجاورتها وتقاربها، وعلماء التجويد في عصره كانوا قد نهجوا

[1] - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، الفتح والإمالة :ص: 12- 13،محمد بن محمد الجزري النشر: 2/29- 30، محمد علي الضباع، الإضاءة في أصول القراءة: ص: 35- 36.

[2] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص: 64 وما بعدها.

[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، 269-270.

هذا النهج، وألَّفوا في ذلك التآليف الكثيرة كـ قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (ت 325هـ)، وقد اعتمد عليها المؤلف في كتابه الأوسط، والتي حملت في ثناياها درساً صوتياً مُستقلاً، وكتاب التنبيه على اللحن الجلي والخفي للسعيدي(ت 410هـ)، شاهد آخر على ذلك المنهج الصوتي، وكتاب التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ)، وكتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت 437هـ) من أهم الكتب التجويدية التي تناولت الدرس الصوتي.

ومما يدل على استعماله المنهج الوصفي ما صدَّره في مقدمة كتابه بقوله: «...وهو كتاب يشتمل على علم القراءات، ومعرفة وجوه الروايات، وقد رتَّبته ترتيباً لم أُسبق إليه، ورصَّعتُه ترصيعاً لا مزيد عليه، فأورتُّ فيه ما أورده المتقدِّمون في كُتبهم من قراءة القراء الثمانية، أئمة أهل الأمصار، من الحجاز والشام والعراق، مُستوعباً أكثر رواياتها، مُبيِّناً ما اشتهر منها، مُنبِّها على ما شذَّ عنها، مُميِّزاً بين المستعمل والمرفوض.

ثمَّ ضمَّنته أبواباً وفصولاً لا تكادُ توجد في الكتب المبسوطة في هذا العلم؛ ليكون كتابي هذا موفياً على المختصرات، بل على نفائس كتب القراءات، ولا فائدة في تعداد أبوابه وفصوله في صدر الكتاب؛ إذ المشاهدة تأتي عليها، والعيان يُغني عن الإخبار، والتطويل في ذكر الأسانيد يورث الملل»[1].

ومن ذلك ما ذكره في باب التجويد والحثِّ عليه مُعرفاً التجويد والتحقيق حيث قال: «اعلم أنَّ التجويد حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وإشباع لفظه، ولُطف النطق به؛ لأنه متى كان غير ما حكيتُ من وصفه زالَ عن تأليفه ورصفِه»[2].

2.5.المنهج التعليمي:

يهدف البحث الصوتي عند كثير من علماء التجويد والقراءات المتقدمين إلى كشف النقاب عن ملامح البحث الصوتي بطريقة التعلُّم، بحيث يستطيع غير العربي أن ينطق بالأصوات مثلما ينطق بها العربي، وهذا اتجاه تعليمي محض، استعمله الإمام أبو حيان الأندلسي في ارتشاف الضرب، والإمام أبو عمرو الداني في كُتبه، وقد اتَّبع الإمام العماني في ذلك منهجاً صوتياً تعليمياً ارتكز فيه على أساليب منها:

1.2.5. طريقة الاستقراء:

اعتمد العماني طريقة الاستقراء في تتبع كلام العرب عند نحاتهم، وصرفييهم ومجوديهم، وظهر هذا

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص 40.
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص23-29.

في مصادر دراسته الصوتية، من ذلك عند حديثه عن الحرف قوله: «الحرف قد تُطلقه العرب على الكلمة التامَّة، والقصَّة الطويلة، والقصيدة من الشعر، ويسمُّون الناقة المهزولة حَرْفاً، وحدُّ السيف حرفاً، والركن الشاخص من الجبل حرفاً، والحرفُ الواحد من حروف المعجم مأخوذ من حرف الشيء، وهو حدُّه وناحيتُه، تقول: رجلٌ محارف، أي محدودٌ عن الكسب والخير، وتقول: انحرف فلان عنِّي، أي جعل بيني وبينه حدًّا بالبعد.

ويجوز أن يكون الحرف مأخوذا من قولهم: طعامٌ حِرِّيفٍ، يُراد به حدَّته، ومن الحرف السيف، وهو حدُّه، ومن حرف الجبل، وهو الركن الشاخص منه، فإن أخذته من هذا قلتَ إنما سُميت حروفاً لأن الحرف حدّ منقطع الصوت وغايتُه وطرفه، كحرف الجبل والسيف، وإن أخذته من الأوَّل قلت إنما سُمِّيت حروفاً لأنها جهات للكَلِم ونواحٍ لها، كحروف الشيء وجهاته المحدقة به.

فأما قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾ فقال أبو عبيدة: على حرف، أي لا يدوم، تقول: أنت على حرف، أي لا أثق بك... »[1].

2.2.5. الحدود والمصطلحات:

اعتنى العماني بعدد من المصطلحات الخاصة بعلم الأصوات ومفردات اللغة وتراكيبها، ومصطلحات القراءات كالروم والإشمام والإدغام والإظهار ولإمالة وغيرها، وذكر في فصل منفرد تعريف الصوت، والحرف، والحركة، وقال في أوَّله: «اعلم أنَّ الكلام مبني من الحروف، والحرف مولَّد من الصوت، فأول ما يجب علينا تبيينه والكشف عنه الصوت»[2]، وأطال الحديث عن الصوت والحرف في اللغة واستعمال العرب لهما، ونقل العُماني تعريف ابن جني للصوت والحرف من غير أن يصرح باسمه، واكتفى بقوله: (قال بعضهم)[3] وأشار إلى حاجة ذلك إلى بيان وقال: «وأنا أُبيِّنُه بياناً لا يخرجُ الفهمُ عنه-إن شاء الله- اعلم أنَّ الصوت منشؤه من الصدر، وهو نفسٌ يرتفع إلى الحلق، فيستطيلُ ويمتدُّ حتى يحصُره بعض المقاطع، فينحصر هناك، فإذا حصره مقطع تولَّد منه حرف، فأنت إذا أطلعت النَّفس من صدرك، ثُمَّ ثناه حَيِّزٌ سمعتَ له جرساً، فإن انتقلت منه إلى حَيِّز آخر سمعت جَرْساً آخر، فالصوتُ هو الذي يستطيل، والمقطع الذي يُثنيه عن الامتداد هو الحرف»[4].

ومن ذلك بيانه للحركة بقوله: «الحركةُ غير الحرف، وإنما هو كالعَرَض يحُلُّ الحرفَ، والحرفُ كالحيِّز له، والدليلُ عليه أن الحرف إذا سمَّيناه مُتحرِّكاً فإنما هو لحلول الحركة فيه، ولولا ذلك لم يُفرَق بين المتحرِّك والساكن، وإذا لم يفرق بينهما بَطَلَ الكلامُ، لأنَّك تُسويّ بين الأسماء والأفعال الماضية، لا يُفرَق بين قولنا (عَبدٌ) للمملوك، وبين (عَبَدَ) الذي هو فعلٌ ماض، وهذا مُحال، فعلمتَ أنَّ الحركة إنما

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص77-79.
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص76.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص 76، ابن جني ،أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب1/6و9.
[4] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص 76.

هي معنى يَحدُثُ، فيسمَّى الحرفُ به مُتحرِّكاً»[1].

2.5. 3. عرضه أراء العلماء:

فنجده يعرض آراء علماء اللغة والتجويد والقراءات في المسائل العلمية، ومن ذلك ما ذكره في باب في الحروف ومدارجها وألقابها ومخارجها: «اعلم أن الحروف العربية، مهموسها ومجهورها ومطبقها ومتفشِّيها ورِخوها وشديدَها، وحروف الصفير، وحروف المدِّ واللين، تسعة وعشرون حرفاً، وكان الخليل بن أحمد يَقسم مخارجها على تسعة أقسام: الحلق واللَّهاة والشَّجْر، والأسلة والنِّطع، واللِّثة، والذَّولق والشَّفة، والهواء.....ثم اختلفوا في تقديمه العين على سائر الحروف....وقال آخرون: إنما وقع تقديم العين على الهاء لاستباهٍ وقع عنده في الامتحان لِرِقَّة الهاء وهَشاشتها...فهذا العدد على المخارج على ترتيب الخليل، ثم اختلف النحويون بعدُ في مخارجها على غير ترتيب الخليل، فكان سيبويه يجعل للحروف ستة عشر مخرجاً، وكان الجرميُّ وابن كيسان يجعلان لها أربعةَ عشر مخرجاً، وليس بينهم خلاف إلا في الراء واللاَّم والنون، وذلك أنَّ سيبويه جعل لكل واحد منها مخرجاً، والجرميُّ ومن وافقه جعلوهن من مخرج واحد»[2].

2.5. 4. أسلوب التفصيل:

من الجوانب التعليمية في منهج الإمام العماني الصوتي استخدامه أسلوب التفصيل في الظاهرة الصوتية، إذ يلمّح للظاهرة الصوتية، أو المسألة المراد طرحها، ثم يأتي ببيان التفصيل، ومن ذلك ما ذكره في باب الإدغام: «اعلم أن أصل الإدغام في اللغة الدَّفن، فإذا أدغمت الحرف فكأنك دَفَنتُه.....والقراء مختلفون فيه على طبقاتهم، فكان أبو عمرو أكثرهم إدغاماً، وله باب تفرَّد بإدغامه دونهم، وسنذكر ذلك مفصلا -إن شاء الله-»[3]، فشرح ذلك كله في (فصل، وباب الإدغام لأبي عمرو، وفصلين).

2.5. 5. الشواهد القرآنية:

مما لا ريب فيه أنَّ الإمام العُماني كانت دراسته الصوتية منصبَّة على الاستشهاد بآي القرآن الكريم، وأكثر ما يوظِّف ذلك في حديثه عن التأثر والتأثير للأصوات عند المجاورة ولاسيما في الإدغام والمماثلة والإمالة ومخارج الحروف وأجناسها وأجراسها، والتفخيم والترقيق والروم والإشمام وغيرها، مما هو ظاهر في الكتاب.

2.5. 6. القراءات القرآنية:

لقد جاء كتاب الأوسط في القراءات للإمام العُماني خير شاهد على ذلك الاعتماد الكبير على علم

[1] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص80.
[2] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص81-83.
[3] - الحسن بن علي العماني، الكتاب الأوسط في القراءات، ص139-168.

القراءات، وتناوله للدرس الصوتي فقد ذكر أسماء القراء فيه وتحدَّث عن الأسانيد للقراءات وبيَّن مذهب أبي عمرو البصري في الإدغام الكبير، كما ذكر رأي القراء في عمليات الإمالة والرَّوم والإشمام، والهمز، والوقف على أواخر الكلم، واختلافهم في نقل حركة الهمزة، وبيَّن اختلاف القراء الثمان في ذلك كما هو ظاهر.

6.الخاتمة

• اعتماد الإمام أبي محمد الحسن بن علي العُماني على التلقي والمشافهة في النقل والرواية، ونقله نصوص أئمة اللغة كـ الخليل بن أحمد الفراهيد وابن جني وسيبويه وغيرهم.

• تنوعت المسائل الصوتية في كتاب الأوسط في القراءات فضمَّت مسائل تنتمي إلى طبيعة الأصوات، وأخرى تنتمي إلى التشكيل الصوتي ووظائف الأصوات.

• تتجلى المظاهر الصوتية التي ذكرها الإمام العُماني في جهاز النطق، ومخارج الأصوات وأجناسها وأجراسها، وألقابها.

• عدد مخارج الأصوات العربية لدى الإمام العُماني، ستة عشر مخرجاً موزعة على ثلاثة محاور هي: الحلق، والشفة، والفمُ واللسان.

فهذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه، وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا العمل كاتبه وسامعه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

7. قائمة المراجع

1. إبراهيم أنيس (دكتور)، 1972م، **الأصوات اللغوية**، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
2. ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم)، 1390هـ، **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزو جل**، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق.
3. الأندرابي (أحمد بن أبي عمر)، 2002م، **الإيضاح في القراءات**، تحقيق منى عدنان غني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت.
4. الأنصاري (زكريا بن محمد)، 1411هـ، **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة**، صنعاء، مكتبة الإرشاد.
5. ابن الجزري (محمد بن محمد):

1351هـ، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: براجستراسر، الطبعة الأولى. الناشر: مكتبة ابن تيمية.

د.ت، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي بن محمد الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية.

6. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، 1374هـ، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،
7. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):

1424هـ، **الإدغام الكبير**، تحقيق: عبد الرحمن حسن عارف، القاهرة، عالم الكتب.

1999م، **التحديد في الإتقان والتجويد**، تحقيق غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار.

1422هـ، **الفتح و الإمالة**، تحقيق وتخريج وتعليق: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

1430هـ، **منهة الإمام المقرئ أبي عمرو**، دراسة وتحقيق: الدكتور لحسن بن أحمد وكاك، الطبعة الأولى.

8. الدوسري (الأستاذ الدكتور إبراهيم بن سعيد)، 1429هـ، **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، الرياض، الطبعة الأولى، دار الحضارة للنشر والتوزيع.
9. الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)، سنة النشر: 1416هـ، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، إسطنبول، الناشر: مركز البحوث الإسلامية.
10. رضى الدين الأستراباذي (الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن)، **شرح شافية ابن الحاجب**، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية.
11. السجاوندي (محمد بن طيفور)، الطبعة الأولى، 1422هـ، **الوقف والابتداء**، دراسة وتحقيق د.محسن هاشم درويش، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.
12. ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل)، الطبعة الأولى، 1405هـ، **الأصول في النحو**، تحقيق:عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
13. الشيرازي (أبو مريم نصر بن علي)، الطبعة الأولى، 1414هـ، **الموضح في وجوه القراءات وعللها**، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، السعودية، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة،
14. الضباع (علي محمد)، **الإضاءة في بيان أصول القراءة**، مصر، طبعة عبد الحميد حنفي.
15. ابن الطحان (عبد العزيز بن علي الأندلسي) الطبعة الأولى، 2007م، **مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ**، تحقيق: الأستاذ الدكتور/حاتم الضامن، -الشارقة- مكتبة الصحابة.
16. عبد الصبور شاهين، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لأبي عمرو بن العلاء**، القاهرة، مكتبة الخانجي.
17. عبد العلي المسئول، 1428هـ ، **مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به**، الطبعة الأولى، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
18. العماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ)، 1427هـ، **الكتاب الأوسط في القراءات**، تحقيق د.عزة حسن، دمشق، دار الفكر.
19. القرطبي (عبد الوهاب بن محمد) (ت461هـ)، الطبعة الأولى، 1421هـ، **الموضح في التجويد**، تقديم وتحقيق: د.غانم قدوري الحمد،-الأردن-، دار عمار للنشر والتوزيع.
20. القيسي (مكي بن أبي طالب)، الطبعة الثالثة، 1404هـ، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: د. محمد محي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة.
21. المهدوي (أحمد بن عمار) ط1/1995م، **شرح الهداية**، تحقيق: د.حازم سعيد حيدر،الرياض السعودية، مكتبة الرشد.
22. ابن الناظم (أبو بكر أحمد بن الجزري) 1426هـ، **الحواشي المفهمة في شرح المقدمة**، تحقيق: عمر عبد الرزاق معصراتي، الجفان والجابي، دمشق.
23. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، الطبعة الأولى، 1410هـ، **لسان العرب**، طبعة، بيروت، دار صادر.
24. الواسطي (عبد الله بن عبد المؤمن) (ت740هـ)، الطبعة الأولى، 1425هـ، **الكنز في القراءات العشر**، دراسة وتحقيق: د. خالد أحمد المشهداني، القاهرة- مكتبة الثقافة الدينية-.
25. (يعيش بن علي بن يعيش) **شرح المفصل لابن يعيش**، القاهرة،الطباعة المنيرية.